لفظ (عربي) في الاستعمال القرآني

المدرس الدكتور
سليم عبد الزهرة محسن الجصاني
جامعة الكوفة ـ كلية التربية الأساسية

لفظ (عربي) في الاستعمال القرآني

المدرس الدكتور
سليم عبد الزهرة محسن الجصاني
جامعة الكوفة ـ كلية التربية الأساسية

مقدمة:

يروم البحث تبيان معنى لفظ (عربي) في القران الكريم وكان سبب اختياره رفض فكرة أن معنى الآيات القرآنية التي ترد فيها مفردة (عربي) إنما يراد بها اللسان العربي أو اللغة العربية، لأن العقل يأبى أن يُفضل قوم على قوم آخرين بتفضيل لغتهم على اللغات الأخرى فكلهم سواء عند خالقهم سبحانه، وإنما يكون تفاضلهم بأعمالهم ورقيهم في الدرجات يتأتى مما أمنوا به وعززوه بسلوكهم وهو ما يلحظ في موارد كثيرة في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1].

وقد استثمر ورود اللفظ استثماراً قومياً جعله طائفة من المفكرين العرب مزية لهم لا يشاركهم فيها أحد، إذ سارعوا إلى الإمساك بالمعنى المتداول عن قصد أو غير قصد بعدما ساغ لهم ظاهر اللفظ بما شاع استعماله.

ولا غرابة في الوقت نفسه أن يكون قرآناً عربياً بمعنى وروده بلغات العرب ولسانها إذ تبعث الرسالات بلسان من تبعث إليهم، فلا فائدة كبيرة عندما يتكرر اللفظ في آيات كثر منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[3] وغيرها من المواضع في الذكر الحكيم، مما جعل البحث ينعم النظر في هذا الورود المتعدد للفظ.

وقد شرع البحث على وفق منهج تتبع الجذر (عرب) ومواده وما اُشتق منه في الاستعمال القرآني والمعاني الملموسة من هذا الاستعمال وتبيان معنى اللفظ في المعجم العربي ثم إظهار المعنى الاستعمالي مستعينا بالسياق والقرائن.

مع الاعتماد في ذلك كله على كتب التفسير التي تعنى باللغة ومستوياتها على نحو رئيس مع مؤازرتها بكتب اللغة والدلالة وغيرها لتوخي المعنى المقصود، فإن أدرك البحث قصده فبفضل من علام الغيوب سبحانه، وإن هفوت فمن نفسي وما التوفيق إلا منه جل شأنه.

تمهيد: المعنى اللغوي

عند العودة إلى المعاجم اللغوية نلحظ الخليل (ت١٧٥هـ) يقول في (عرب): العرب العاربة: الصريح منهم. والأعاريب: جماعة الأعراب، ورجل عربي... وما بها عَريب، أي ما بها عربي، وأعرب الرجل: أفصح القول والكلام، وهو عرباني اللسان، أي فصيح. وأعرب الفرس: إذا خلصت عربيته وفاتته القرافة. والإبِل العِراب: هي العربية. والعرب المستعربة: الذين دخلوا فيهم فاستعربوا وتعربوا. والمرأة العروب: الضحاكة الطيبة النفس، وهن العُرُب، والعروبة: يوم الجمعة. والعربُ: النشاطُ والأرن، و عَرِبَ الرجلُ يعرَبُ عرباً فهو عربٌ، وكذلك الفرس عَرِبٌ أي نشيط، وعَرِبَ الرجلُ يعربُ عَرَباً فهو عَرِبٌ، أي مُتخم. وعربت معدتُه وهو يدوي جوفه من العلف. والتعريب أن تُعرَبَ الدابة و تكوى في مواضع، ثم يُبزَغُ بمبزغ ليشتد أشعره، و العِرابةُ والتعريب والأعرابُ: سامٍ من قولك: أعربت، وهو ما قبح من الكلام، وعرّبت عن فلان أي تكلمت عنه بحجة[٤].

و مما ورد في كتاب العين للخليل يُلحظ ان الإعراب وعربي اللسان أي الإفصاح والفصيح، والعَربُ تعني النشاط في الإنسان والفرس عَرِبُ أي نشيط.

وعَرِبَ الرجُلُ يَعرَبُ عَرَباً فهو عَرِبٌ أي مُتخم، وعربت عن فلان أي تكلمت عنه بحجة، واما المرأة العروب فهي الضحاكة طيبة النفس.

وفضلاً عما ورد في العين يؤكد الجوهري (ت٢٠٠هـ) أن التعريب قطع سعف النخيل، والعَرَبةُ: النهر الشديد الجرية، وكذلك تعني: النفس. والعَرَب فسادة المعدة وعَرِب الجرحُ نُكيس وغُفر... [٥].

والتعريبُ والأعراب والعَرابَةُ: ما قبح من الكلام وعَرَبَ عليه: أي قبح قوله[٦]، ولعل المفردة فيما وردت له من معاني القبح قد تطورت دلالياً فانتقلت من معناها المركزي إلى معانٍ ثانوية لتبين ما لا يمكن ذكره فقد أفصح به و بيّنه بشكل صريح، وكذلك قطع السعف

لتبين النخيل بوضع بهي واضح ومنه الجري الشديد للنهر الذي يفصح عن النهر بشدة تدفقه.

وتظل المعاني الواردة للجذر (عرب) ومواده تدور في كتب اللغة والمعاجم العربية بين الإجمال والتفصيل، ومنها أن العرب سكان المدن ومنهم الناشئ بالبدو ثم استوطن المدن وبخلافه الأعراب وهم سكان البادية والأعرابي إذا قِيل له يا عَرَبيُ فَرِحَ بذاك وهشّ. والعربي إذا قيل له يا أعرابي غَضِبَ...[٧].

المبحث الأول

العُرب والأعراب

ورد اللفظ بثلاث مواد معجمية هي: (عُرُب وأعراب وعربي) ويذهب البحث إلى تبيان معنى الأول والثاني قبل الولوج في تبيان الثالث (عربي) الذي جاء البحث لاستقراء وروده وتتبع معانيه.

أولاً: ورد لفظ (عُرُب) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[٨]، وقرأ ابن كثير(ت١٢٠هـ) وابن عامر (ت١١٨هـ) والكسائي (ت١٨٩هـ) (عُرُباً) مثقلاً وقرأ حمزة (ت١٥٦هـ) (عُرْباً) خفيفاً[٩]، وقرأ نافع في رواية إسماعيل وحمزة وأبي بكر (عُربا أترابا) ساكنة الراء وقرأ الباقون (عُرُبا) بضم الراء على الأصل لأنه جمع عروب كما تقول صبور وصُبُر ورسول ورُسُل، والتخفيف في ذلك سائغ كما تقول رسل[١٠].

وكما ورد في المعجمات فإن العَروب تعني المرأة الضاحكة، وقيل التي تظهر التحبب إلى زوجها وكذلك تعني المفردة المرأة الحسناء والعاشقة وقيل عكس ذلك أي الفاسدة العاصية لزوجها والخائنة له[١١].

ومما ورد تظهر معان كثيرة للمفردة بعضها ايجابي والآخر تكرهه العرب، غير أن الذي اكتنزته الآية الكريمة هو الأول وهو ما يؤيده السياق القرآني في قوله تعالى ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ * وَظِلٍّ مَمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ * إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[١٢].

ويذهب المفسرون إلى أن (عُرُباً) جمع عروب وهي التي تتحبب إلى زوجها بحسن التبعل وأما (أترابا) فتعني أنهن في سنٍ واحد[١٣].

وورد أنهن (اللواتي قبضن في الدار الدنيا عجائز رمصاً شمصاً خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عربا متعشقات متحببات أترابًا على ميلاد واحد)[١٤].

ولعل أترابا تفصح عن (عربا) في كونهن على ميلاد واحد بهيئة الشباب وما يحمله من نضارة وحيوية يؤكدها رضا الباري سبحانه ومكافأته لمن آمن وعمل صالحاً.

ثانياً: أعراب: وردت مفردة (أعراب) عشر مرات، ست منها في سورة التوبة واثنتان في الفتح وواحدة في الأحزاب وواحدة في الحجرات، ويعرض البحث لتتبع معانيها على نحو الإيجاز:

١- قال تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١١]، جاء في التسهيل (وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ) هم المعتذرون ثم أدغمت التاء في الذال ونقلت حركتها إلى العين[١٢]، ولعل في الإدغام ورفع حرف (التاء) ما يلمح سرعة مجيئهم للاعتذار، واختلف في كونهم كافرين أو مؤمنين، إذ ورد أنهم من المؤمنين وكانت أعذارهم صادقة[١٣]، والأعراب هم أهل البوادي.

٢- قوله تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١٤].

فالأعراب هم أهل البوادي من العرب كما هو شأن الآية التي سبق ذكرها، وفي الآية إشارة إلى كون الأجدر أن لا يعلموا حدود ما انزل الباري (جلّ ثناؤه)، وهو عدم علمهم بالشرائع لبعدهم عن الحاضرة ومجالس العلم[١٥].

ووصفهم على هذا النحو لقسوة قلوبهم وجفائهم على نحو ما يورده المفسرون[١٦].

٣- قوله تعالى ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١٧] أي: ثقلت عليهم الزكاة والحقوق والنفقة في سبيل الله سبحانه ولعلها طبيعة الحياة الصعبة التي يعيشونها أدت إلى عدم إنفاقهم على نحو عام، ومعنى

المفردة لا يختلف عمّا سبقه في الآيتين من كونهم أهل البوادي.

٤- قوله تعالى ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٨]، إذ بينت الآية فريقا ثانياً من الأعراب يؤمن بالخالق سبحانه وينفق في سبيله[١٩]، وهذا الفريق الممدوح في القرآن الكريم بخلاف ما تقدم من آيات[٢٠]، وهي الآية الوحيدة التي تصرح بمدحهم من بين عشر آيات ورد فيها لفظ (الأعراب).

٥- قوله تعالى ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[٢١] أي من حول المدينة لجوا في النفاق[٢٢]، وليس هم وحدهم بل شاركهم في ذلك جمع من أهل المدينة مردوا على النفاق[٢٣].

٦- قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٤] وفي هذه الآية عتاب شديد لأهل المدينة وما حولهم من القبائل المجاورة من الأعراب لتخلفهم عن الرسول ﷺ وقد ورد نهي في الآية عبّر عنه بصيغة النفي للمبالغة[٢٥].

٧- قوله تعالى ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢٦]، أي خارجون في البادية مع الأعراب[٢٧] وفي السياق وقرينة(بادون) ما يشير بوضوح إلى الابتعاد عن المدينة والتوغل خارجا عنها في البادية.

٨- قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[٢٨].

٩- وقوله تعالى ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٢٩] وفي الآيتين تكرر

لتخلف الأعراب عن مؤازرة الرسول ﷺ، وفي التكرار مبالغة في ذم التخلف وعدم الطاعة[٣٠]، إذ ورد اللفظ في هذه الآية من سورة الفتح بعد أن جاء في الآية السابقة من السورة نفسها، والمراد بـ(الأعراب) المعنى الذي ورد في الآيات السابقة.

١٠- قوله تعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣١]، وورد في تفسير الآية انها نزلت في قبيلة جاورت المدنية وكانت تريد المغانم وعرض الدنيا[٣٢].

ومما ورد في الآيات بعد استقرائها وتتبع معنى اللفظ فيها يتضح أن الأعراب هم من سكن البادية ومن أقام منها فضلاً عن ما يعرف عنهم بالضعف الثقافي لقلة اطلاعهم ومخالطتهم لأهل المدن ولانشغالهم بالتنقل في بطون الصحراء.

المبحث الثاني

لفظ (عربي)

لفظ (عربي) هو ما قصده البحث بغية تبيان معانيه التي ورد بها في الاستعمال القرآني اذ ورد لفظ عربي إحدى عشرة مرة ويذهب البحث إلى تتبعها ومتابعة آراء المفسرين واللغويين فيها والآيات هي:

١- قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٣٣]، إذ يذهب أغلب المفسرين إلى رأيين أولهما (قرآن عربي) والآخر معناه إنا أنزلنا خبر يوسف[٣٤]، فلا قطع في المسألة، ولا يبعد أن يكون المعنى قرآناً واضحاً بيّنا يفهمه المتلقي وهو ما يدعو إليه السياق والملحوظ في (تعقلون) لوضوحه، غير أن ابن كثير قال في تفسير الآية (وذلك لأن لغة العرب هي أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم اللغات)[٣٥]، ويذهب البحث إلى أن الكلام لا يستند على دليل علمي يؤيد ما ذهب إليه ابن كثير إذ لم يطلع على لغات الأرض كافة وهي في تزايد وتكاثر مستمر كي يطلق هذا الرأي، ولم يُعرف عن بقية اللغات انّها غير بيّنة ولا تؤدي المعاني التي تقوم بالنفوس، فلآداب الأمم وفنونها الألسنية الأثر الكبير في مجتمعاتها.

٢- قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾[٣٦]، توزع المفسرون على آراء بعضها يذهب إلى انه كتاب بلغة عربية وهو ما ورد رده في تفسير الآية السابقة والآخر ذهب إلى الحكم بمعنى الفاصل بين الحق والباطل، وهنا تظهر المفردة(عربي) بمعنى الوضوح وعدم اللبس لمجيئها بعد (حكماً) إذ لا يقبل أن يكون حكم الله تعالى نزل بما كانت عليه العرب في جاهليتها وفعالها التي رفضها الإسلام وحثّ على تغييرها كوأد البنات والربا والطبقية الاجتماعية والعصبية القبلية وغيرها، وكذلك يؤكد السياق وتؤكد القرائن عدم مجيئه على حكم العرب وهو ما ذهب إليه بعضهم في كون حكم العرب هو الشجاعة والسخاء فكأنما جاءت أحكام القرآن لتؤكد أحكام العرب وهو رأي ترفضه قرينة ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾ وكذلك ﴿بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ فالعرب كانت متمزقة في حروب قبائلها يكثر فيها القتل والاستعباد وأكل الميتة وغيرها مما نهى عنها القرآن ووصفها بالجاهلية، ولكن كثيرا من المفسرين يذهبون إلى أن معنى (عربي) هو الوضوح والإبانة[٣٧]، فهو حكم واضح في فصله بين الحق والباطل.

٣- قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[٣٨]، ورد أن (يلحدون) من اللحد وهو الإمالة فيصار إلى إمالة في حفر القبر بعد الاستقامة، والإلحاد في اللغة الميل عن قصد ومنه لِحد عليَّ شهادته يلحَد لَحَداً أي أثِم، والإلحاد الإعراض والشك[٣٩]، والعرب تطلق اللسان وتريد به الكلام فتؤنثها وتذكرها، ومنه قوله تعالى ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾[٤٠]، بمعنى ثناء حسن باقٍ[٤١]، ومما ورد يتضح أن المعنى كلام واضح مبين للحق وبخلافه كلام غامض غير مبين.

٤- قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾[٤٢].

نقل الزركشي عن جمع من المفسرين منهم محمد بن جرير الطبري أن الآية تدل على أن القرآن الكريم ليس فيه غير العربي[٤٣]، وهو قول فيه نظر لورود مفردات غير عربية في

القرآن لما لا يزرع في بيئة العرب ولا يصنع عندهم وإنما يأتون به في تجارتهم من بلدان أخرى، وهو أمرٌ لا يخل بالإعجاز القرآني فالإعجاز بالاستعمال وليس في اللغة.

٥- قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[٤٤]، ورد في تفسير البغوي عن ابن عباس أن معنى (بلسان عربي) أي بلسان قريش ليفهموا ما فيه وذهب آخر إلى أنه لسان جرهم أو قريش[٤٥]، إذ لم يكتفِ بعض المفسرين بالذهاب بالمفردة إلى معنى اللغة العربية أو القومية العربية بل راحوا ينسبونها إلى لهجاتها ومن غلب منها على من كان ضعيفا كقريش أو جرهم ليتفاخر العرب على العجم وتتفاخر قريش على باقي العرب مع لحظ أنّ بواكير التفاسير التي أخذ عنها المفسرون قد واكبت التوسع الإسلامي في الفتوحات وانضمام أقوام من الأعاجم إلى لواء العرب تحت خيمة الإسلام.

٦- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٤٦]، يرى المفسرون أن ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة وعندهم مثل جاءني رجلا صالحاً أو مدح له[٤٧] ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي لا اختلال فيه ولا لبس[٤٨]، فلا دلالة قطعية بمعنى اللغة في حين أن معنى الوضوح أقرب.

٧- قال تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٤٩]، ورد في الكشاف أن قوله تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يراد به العرب لمعرفتهم بلغتهم[٥٠]، وكذلك أورده جمع من المفسرين من ضمن عدد من الآراء ذكروها في تفاسيرهم، وكذلك جاء أنه لأهل العلم والنظر لأنهم المنتفعون به واللام تعلقت بمحذوف كونها صفة أخرى للقرآن[٥١]، ولا جدل أن الرأي الأول مردود لأن العلم بالقرآن يحتاج إلى وعي وليس كل العرب كذلك؛ فالخطاب اقرب إلى العلماء منه إلى العرب.

٨- قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾[٥٢]، إذ لا يستقر المفسرون على رأي واحد في تبيان معنى الآية وألفاظها لاحتمال تعدد المعاني في

اللفظتين (أعجمي وعربي)، منها أن الآية نزلت بسبب طعن قريش في القرآن والمعنى أنه لو كان القرآن أعجميا لقالوا قرآن أعجمي ورسول عربي أو مرسل إليه عربي، وفي رأي آخر أنما طعنوا في القرآن لوجود كلمات أعجمية فيه مثل إستبرق وغيرها، إذ اعترضوا عليه فيما رأوا أنه يخلط في استعماله اللغة العربية ولغات العجم .

بيد أن المعنى اللغوي للفظ (أعجمي) يراد به الغموض وعدم الإفصاح، ومن تتبع السياق القرآني يتضح ان المعنى لو جعل الباري سبحانه القرآن غامضاً لأشكلوا عليه وطلبوا تفصيل ما كان غامضا منه، وتؤيد قرينة (فصلت) هذا المعنى إذ لم يرد لفظ بمعنى الترجمة بل هو تفصيل وتوضيح وقد ذهب إلى بعض هذا المعنى بعض المفسرين الذين يرون أن معنى الأعجمي هو الذي لا يفصح ولا يبين معه سواء من العرب أو من غيرهم(٥٣).

٩- قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾(٥٤)، يشير ابن كثير إلى أن ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي واضحاً جلياً(٥٥).

ويذكر البغوي معانٍ متعددة للفظ (عربياً) في قوله: إن المعنى (صيرنا هذا الكتاب عربياً وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه)(٥٦)، فالمفسرون لا يستقرون على معنى واحد ويلحظ من آرائهم الإشارة الجلية إلى أن معنى المفردة يراد به الوضوح والبيان.

ويفهم من القرائن على نحو أولى أن الإنذار إلى أم القرى وهي مكة ومن حولها ولا جزم أن من حولهم هم العرب والقبائل العربية فقط وانما يمتد إلى غير العرب لأن القرآن الكريم جاء لكل الناس الذين يحتاجون إلى قرآن بين واضح كي يفهموه، ويؤيده قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٥٧).

١٠- قال تعالى: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٥٨)، ورد تفسير القرطبي (قال تعالى إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ولم يقل قريشيا وهذا يدل على أنه منزل بجميع لسان العرب وليس لأحد أن يقول إنه أراد قريشا من العرب دون غيرهم كما أنه ليس له أن يقول أراد لغة عدنان دون قحطان أو ربيعة دون مضر لأن اسم العرب يتناول هذه القبائل)(٥٩)، ليبين النزاع القائم بين قريش التي أرادت العلو على باقي القبائل العربية بادعائها أن القرآن جاء بلهجة قريش.

غير أن قرينة (تعقلون) تشير إلى غير ما ذهب إليه القرطبي لأنه لا يتعلق بالعرب وحدهم لذا كان معنى الوضوح اقرب لمفردة (عربيا) من معناه المتعلق بالعرب.

١١- قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾[٦٠]، يشير مفسرون إلى أن معنى (عربيا) يراد بها فصيحاً بيناً واضحاً[٦١].

خاتمة:

خلص البحث إلى طائفة من المسائل لعلّ من أكثرها أهمية:

- رفض فكرة أن معنى الآيات القرآنية في ورود مفردة (عربي) بها اسما يراد بها اللسان العربي أو اللغة العربية، لأن العقل يأبى ان يفضل قوم على قوم آخرين فكلهم سواء عند خالقهم سبحانه.
- العربية لغة تجري على سنن اللغات بعامة في كونها كائنا حيا ينمو ويتزاوج وينجب ويهرم ويموت، وهو شأنها قبل نزول القرآن الكريم.
- بيّن البحث أنّ القوة للقرآن الكريم وليس للغة العربية، وبسلطته خرجت العربية على بقية اللغات ولم تخضع لسننها.
- الاستعمال القرآني معروف بتوسعه وتعدد حلقات المعنى فيه، إذ كلّ يطلبها المتتبع أحيانا، ولا توجد دلالة قطعية على أن لفظة (عربي) تفيد معنى اللغة العربية وهو ما اتضح من آراء المفسرين واستقراء الآيات.
- الأصل في العربية أنها لغة تجري عليها سنن اللغات الأخرى إذ تنشطر بمرور الزمن إلى لغات أخرى مبتدئة بنواة اللهجة ثم تكتسب شخصيتها والعربية كذلك قبل نزول القرآن الكريم ضمت لهجات عدة كلهجة طي وتميم وأسد وهذيل وغيرها من لهجات العربية التي كان لابد لها أو لبعضها ان تكون لغات مستقلة بمرور الزمن وسيرا على سنن اللغات ولكن حال دون ذلك نزول القرآن الكريم.
- جذر (عرب) بمواد ثلاث،هي (عُرُب) التي جاءت مرة واحدة و(أعراب) التي وردت عشر مرات و(عربي) التي جاءت إحدى عشرة مرة.

- ذهب البحث إلى ذكر التفاصيل التي تورد الآراء التي تؤكد أو تنوه إلى ان لفظ (عربي) الوارد في القرآن الكريم يحمل معنى غير معنى اللغة العربية، ولم يركز البحث على آراء المفسرين الذين يذهبون إلى تبني معنى اللغة العربية من لفظ (عربي) وهم كثر وربما أثر في كثرتهم الدلالة الظاهرة والقريبة لمعنى اللفظ أو المعنى الأقرب إلى نفوسهم وتوجههم في الانتماء إلى القومية العربية أو مجارات العرب لإمساكهم بالسلطة والقوة.
- ثمرة البحث أنه يبين أن القوة للقرآن وليس للغة العربية، فيه وبسلطته خرجت العربية من دائرة بقية اللغات ولم تخضع لسننها في التوالد والانشطار والموت وانتقلت دراستها من الوصفية إلى المعيارية.
- عندما تخاطب السماء قوما فإنها تخاطبهم بلغتهم التي يتواصلون بها وليس بلغة أخرى لا يفهموها، ولا يعني هذا أن السماء اختارت اللغة في النزول دون اختيار متكلميها، فالإنسان أولا ثم متعلقاته وأحدها اللغة.
- معاني الاستعمال القرآني فيها توسع وحلقات يطلبها المتلقي على وفق مستوى التلقي، ولا توجد دلالة قطعية تشير إلى إفادة اللفظ لمعنى اللغة.

Abstract

Search is designed to Understanding the word (Arab) and its derivatives during the tracking of uses in the Quranic text, which contained three lexical items are: Arabs in the sense obedient women and love to her husband and the people of the Arabian desert and taken into clarity and statement.

Search has been divided into two sections, the helped in understanding of the first to address the second part, which is the meaning of word (Arabic) to get to the meaning and clarity and not Arab nationalism means has been offering boot at the end of the research came the conclusion that the results are presented and then came the sources and references

Taking research from the sources, references and studies, dictionaries and Interpretations for up to modern studies has been adopted, and we ask God to reconcile

هوامش البحث

(١) الحجرات/١٣
(٢) يوسف:٢٢
(٣) الزمر: ٢٧- ٢٨
(٤) العين: (عرب) (١٢٣/٣)، ظ: الصحاح: (عرب)١٩٠/١،
(٥) ظ: المحكم والمحيط الأعظم: (عرب) ٢/ ١٢٨
(٦) ظ: لسان العرب: (عرب) ٩/ ١٣٣- ١١٨
(٧) تاج العروس: (عرب) ٣ / ٣٣٤
(٨) الواقعة / ٣٧
(٩) ظ: السبع في القراءات: ص ٦٢٢
(١٠) ظ: حجة: القراءات: ٦٩٦
(١١) ظ: لسان العرب: ١/ ٥٩١ – ٥٩٢
(١٢) الواقعة/ ٢٧-٣٧
(١٣) ظ: الكشاف: ٤/ ٤٦١
(١٤) ابن الكثير: ٤ / ٢٩٢ الطبري: ٢٧ / ١٨٦ الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٥٣٢
(١١) التوبة / ٩٠
(١٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ٨٢
(١٣) ظ: المحرر الوجيز في تفسير القران العزيز: ٦٩/٣
(١٤) التوبة: ٩٧
(١٥) ظ: التسهيل لعلوم التنزيل : ٢ / ٨٣، ظ: المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز: ٣ / ٧٣
(١٦) ظ: تفسير الطبري: ١١/ ٣، ظ: تفسير الواحدي: ١/ ٤٧٨
(١٧) التوبة: ٩٨
(١٨) التوبة: ٩٩
(١٩) ظ: تفسير ابي السعود: ٤ / ٩٥
(٢٠) ظ: تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٨٤، الثعالبي ٢ / ١٤٩، ظ: تفسير الطبري: ١١/ ٥
(٢١) التوبة: ١٠١
(٢٢) ظ: المحرر الوجيز: ٣ /٧٥ ، ظ: تفسير البيضاوي: ٣ / ١٦٨
(٢٣) ظ: تفسير السمرقندي: ٢ / ٨٤
(٢٤) التوبة\ ١٢٠
(٢٥) ظ: تفسير البيضاوي:١٧٨/٣،ظ: تفسير الثعالبي::١٦٤/٢،ظ:البحر المحيط:١١٤/٥.
(٢٦) الأحزاب:٢٠

(٢٧) ظ: تفسير أبي السعود:٧:٩٧،ظ:تفسير البيضاوي:٣٦٨/٤،ظ:المحكم والمحيط الأعظم: ٤٤٢/٩
(٢٨) الفتح:١١
(٢٩) الفتح:١٦
(٣٠) ظ: تفسير ابي السعود: ١٠٩\٨
(٣١) الحجرات:١٤
(٣٢) ظ: تفسير الثعالبي:١٩٣/٤
(٣٣) يوسف:٢
(٣٤) ظ: معاني القرآن،النحاس:٣٩٧/٣.
(٣٥) تفسير ابن كثير:٤٦٧/٢
(٣٦) الرعد:٣٧
(٣٧) ظ: المفردات في غريب القران: ٣٢٨، ظ: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥٧٥\١، ظ: تفسير ابن كثير: ٢/ ٩١٥
(٣٨) النحل: ١٠٣
(٣٩) ظ: لسان العرب (لحد): ٣/ ٣٩٨
(٤٠) الشعراء: ٨٤
(٤١) ظ: أضواء البيان: ٢/ ٤٥٥
(٤٢) طه:١١٣
(٤٣) ظ: البرهان، الزركشي ٣٨٨/١.
(٤٤) الشعراء /١٩٥
(٤٥) ظ: تفسير الغر بن عبد السلام:٤٥١/٢.
(٤٦) الزمر:٢٨
(٤٧) ظ: البيضاوي:٦٥/٥
(٤٨) ظ: الطبري ٣٨٨/١
(٤٩) فصلت:٣
(٥٠) ظ: الكشاف:١٨٩/٤
(٥١) ظ: المسعود:٢/٨
(٥٢) فصلت:٤٤
(٥٣) ظ: التسهيل في علوم التنزيل: ٤ / ١٥
(٥٤) الشورى /٧
(٥٥) ظ: تفسير ابن كثير: ٤ / ١٠٨
(٥٦) تفسير البغوي: ٤ / ١٣٣
(٥٧) سبأ / ٢٨

(٥٨) الزخرف / ٣
(٥٩) تفسير القرطبي: ١/ ٤٤
(٦٠) الأحقاف / ١٢
(٦١) ظ: تفسير ابن كثير: ٤/ ١٥٧

قائمة المصادر والمراجع

أولاً - القرآن الكريم

- الإتقان في علوم القران، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المعروف بـ(تفسير أبي السعود)، أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

- أضواء البيان، الشنقيطي(ت ١٣٩٣هـ)، مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ (تفسير البيضاوي)، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي(ت٧٩١هـ)، تحقيق: عبد القادر عرفان العشا حسونة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان ــ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩١

- تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي تحقيق:عبد الكريم العزباوي، مراجعة: الدكتور إبراهيم السامرائي وعبد الستار احمد فراج، بأشراف لجنة فنية من وزارة الإرشاد، ١٣٨٦ه- ١٩٦٧م.

- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي(ت٧٤١هـ)، دار الكتاب العربي، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

- تفسير القران العظيم، ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القريشي الدمشقي(ت ٧٧٤هـ)، تقديم: يوسف عبد الرحمن المرعشي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- تفسير العز بن عبد السلام، العز بن عبد السلام(ت٦٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٧٢هـ.

- جوامع الجامع عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري(ت٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت -١٤٠٥م.

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المعروف بـ (تفسير الثعالبي)، عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي(ت٨٧٥هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

- السبعة في القراءات، ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس البغدادي (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

- الصِحاح المسمى تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصير إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٤٠٠هـ)، حققه وضبطه شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ه.

- كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي(١٧٠هـ)، ترتيب وتحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضوي- دار الكتب العالمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م- ١٤٢٤ه.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(د.ت).

- لسان العرب، ابن منظور(٦٣٠ - ٧١١هـ)، اعتنى بالتصحيح: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية (بدون تاريخ).

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي(ت ٥٤٦هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن سيدة المرسي المعروف بأبن سيدة (ت٤٥٨هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي \ منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى (١٤٢١ه – ٢٠٠٠م).

- معالم التنزيل المعروف بـ(تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

- معاني القران، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس(ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩م.

- المفردات في غريب القران، الراغب الاصفهاني(ت٤٢٥هـ)، دفتر نشر الكتاب، الطبعة الثانية(د.ت).

- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المعروف بـ(تفسير الواحدي)، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوود، دار القلم ـ بيروت، الدار الشامية ـ دمشق، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ.